الفقه تفقها ومسايل طلبا للاختصار وتقريبا على الناظر جزاهم الله عن المسلمين احسن جزايه
كما جعلهم ورثة انبيايه وحفظه شرعه وجعلنا من المتبعين لهم **قلت** وذكر ابن رشد
في اول المقدمات ان هذه المدونة تدور على مالك بن انس امام دار الهجرة وابن القاسم المصري
الولي الصالح وسحنون وكلهم مشهور بالامانة والعلم والفضل ونحوه لابن الرقيق والمدارك واصلها
من اسولة اسد بن الفرات لاهل العراق ثم اجوبتهم وحملها على مذهب اهل المدينة وقصتها مشهورة
واول من طعن فيها الشيخ سعيد بن الحداد ففي المدارك ان ابن الحداد صحب اولا سحنون وسمع
منه ونزع اخرا الى مذهب الشافعي من تناوله بالكثير اما بخالفه ويعتمد على النظر والحجة وكان يسمي
المدونة المدودة ونقض بعضها وذكر غيره انه قال ترك الناس السنن وانتقلوا الى قوله قلت
اراسته فالذي فقصده اصحاب سحنون وهجروه واغروا به ابن طالب القاضي فهم به ثم نشات بينه وبينه
صحبة فكان له على بر وبقي مهجور الباب قليل الاصحاب الى ان ناظر اخرا ابا عبد الله الشيعي واخاه
ابا العباس عند دخولهما بدعوة بني عبيد القيروان فمالت اليه قلوب العامة واجمعوا على فضله
وزاد غيره انه قام معهم مقام ابن حنبل في القول بخلق القران وباع نفسه في مناظرتهم لله تعالى
وكان ناف على سبعين سنة وقال فيه الخوارج خير قبل لانهم كانوا قتلوا اثنين من اصحاب سحنون
وارادوا احمل الناس على مذاهبهم فدخل منهم على اهل القيروان روع كبير فناظرهم حتى اوقفهم
وسلم الله منهم بحسن نيته ومن شعره في طلب الرزق وما لا فيا

دعتني بنفسي عن دني المكاسب ۝ وما عجزتني حيلة عن مطالب
نزالت وبي نفسي هموم كثيرة ۝ صحوكا لتخفي عن صديق وصاحب
ابت همتي الا سموا الى العلا ۝ وان طاطاتني حادثات النوايب
فان لم انل دنيا فقد نلت همة ۝ تنزه نفسي عن دني المعايب

ورايت في بعض الاندلسيين ان ابا محمد بن حزم راس الظاهرية بالاندلس قال انما اشتهر
مذهب مالك والمدنيين وهذه الفروع بافريقية دخول سحنون بن سعيد بمسايله فولي القضا بها
فاخذت عنه مسايله لاجل قضايه ورياسته واشتهر امره واشتهرت مسايل مالك بالاندلس
لدخول عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى وغيرهم من روسا الاندلس وقضاتها فاشتهر عنهم اخذها
والمذهب بها وانما كان ذلك لرياستهم فترك الناس السنن واتبعوها وذكر الباجي في كتاب فرق
الفقها له انه اجتمع معه بميورقة وكانت بينهما مطالبات واحتجاجات ال امرها على ما قال
الى ابطال مذهبه وذكر ان اخاه ابراهيم بن خلف الباجي انه لقي ابا محمد يوما فقال له ما قرات
على احد فقال بل كثيرا اقرا عليه فقال الا اختصر لك العلم فيقربك ما تستغرقه بعمر الزمن القريب
في سنة او اقل فقال له لو صح هذا الفعل فقال له غيره ينفعك به لك في سنة فقال انا احب
ذلك فقال له او في شهر فقال الخذلك اشهى الي فقال او في جمعة او دفعة فقال هذا اشهى الي من كل
شي فقال له اذا اوردت عليك مسئلة فاعرضها على الكتاب فان وجدتها فيه والا فاعرضها على
السنة فان وجدت ذلك فيها والا فاعرضها على مسايل الاجماع فان وجدتها والا فالاصل الاباحة

فاعلها

فاعلها فقلت له ارشدتني اليه يفتقر الى عمر طويل وعلم جليل لانه يفتقر لمعرفة الكتاب ومعرفة ناسخه
ومنسوخه وماوله وظاهره منصوصه ونطقه وعمومه الى غير ذلك من احكامه ويفتقر ايضا الى
حفظ الاحاديث ومعرفة صحيحها من سقيمها وسندها ومرسلها وموصلها وتاويلها وتاريخ المتقدم
والمتاخر منها الى غير ذلك ويفتقر ايضا الى معرفة مسايل الاجماع وتتبعها في جميع اقطار الاسلام وقل
من يحيط بهذا قال الباجي في كتاب الفرق وبالجملة فان الرجل ليس معه قوة علم ولا تضلع في الاحتجاج
ولكنه العامة بالامور الفارغة ومبتدي الطلبة فاذا سئل عن مسئلة فيقول لمن حضر اولسايل
قلت انت فيها ما ظهر لك ولا يزال يستفليه حتى ينطق فيها بشي من رايه فيجود فعله ويستحسن رايه ويقول
له قولك فيها خير من قول مالك ويزين له ذلك ويشكله في نفسه حتى يصير يرى راي نفسه ويعظم
نفسه ويقع في مالك وغيره من العلما وكان قد سلط عليه منه شي كثير فجد امره واستخف اهل الفروع
بالاندلس معه وبعده ولم يزل في خمول وعدم اعتنا بمذهبه وكثر اهل الشورى والفقه والوثايق
بالاندلس حتى خرج الموحدون على المدونة واخذوا امر اكثر حضرة ملكهم فوجدوا فيها كتب فقه كثيرة
فاستصعبوها وباعوها من الشواشين وغيرهم وتقدموا الى الفقها الفروعيين ولما اطمانت بالامير
عبد المومن الدار جمع الفقها اما لاختبارهم من مذهبهم او على ان يحملهم على مذهب ابن حزم فحكى ابن
مناد عن شيخه عبد الحق بسنده الى القاضي ابي عبد الله بن زرقون جامع الاستذكار والمنتقى قال كنت
فيمن جمع مع الفقها فقام على راسه كاتبه ووزيره ابو جعفر بن عطية فخطب خطبة مختصرة ثم رد
راسه الى الفقها وقال لهم بلغ سيدنا ان قوما من اولي العلم تركوا كتاب الله وسنة رسوله عليه
الصلاة والسلام وصاروا يحكمون بين الناس ويفتون بهذه الفروع والمسايل التي لا اصل لها في
الشرع او كلاما هذا معناه وقد امروا ان يفعل ذلك بعد هذا او نظر في شي من الفروع والمسايل عوقب
العقاب الشديد وفعل به كذا وكذا وسكت ورفع الامير عبد المومن راسه اليه واشار عليه بالجلوس
فجلس وقال سمعتم ما قال فقال له الطلبة نعم وقال سمعنا ان عند القوم تاليفا من هذه الفروع ويسمونه
الكتاب يعني المدونة وانهم اذا قال لهم قايل مسئلة من السنة ولم تكن فيه او مخالفة له قالوا ما
في الكتاب وما هو مذهب الكتاب وليس ثم كتاب يرجع اليه الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وارعدوا وبرقوا في التخويف والتحذير من النظر في هذه الكتب والفقها سكوت ثم قال ومن العجب انهم يقولون
قولا بارايهم وليست من الشرع وقادتهم الدين فيقولون من طرا عليه خلل في صلاته بعيد في الوقت
فيحكمون في دين الله لانها اما صحيحة فلا اعادة او باطلة فيعيد ولنا ابدا فيا ليت شعري من اي ياخذه
فصمت القوم ولم يجبه احد لحدة الامر الا انكار قال ابن زرقون فحملتني الغيرة على ان تكلمت وتلطفت
في الكلام له ان والله احيا بهم الحق واهله وامات الباطل واهله وذكر هذا الملخص وقلت ان اذن لي في الجواب
تكلمت واديت نصيحتي وما قالوا من السنة فقال بل كالمنكر علي ومن السنة ايضا وكررها فقلت ثبت
في الصحيح ان رجلا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ثم جا وسلم عليه فرد عليه وقال ارجع وصل
فانك لم تصل حتى فعله ذلك ثلاث مرات ثم قال له والذي بعثك بالحق ما احسن غيرها فعلمني
فقال له اذا قمت الى الصلاة الى اخر الحديث فامره باعادة الوقتية ولم يامره باعادة ما مضى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)